أعزَّائي،
أصيلاً ثقافيًّا دِنانُهُ نَدى حِبرٍ على صحائِفَ من فِكرٍ مُنفَتِحٍ وأنسَنَةٍ راقِيَة، وبَعدُ،

لم أعتَدِ الكلامَ في لقاءاتِنا الأدبيَّةِ والثَّقافيَّة، بل دَرَجْتُ على التَّأهيل بالحضور، وبالضَّيف، وعلى عَرض برنامج الأُمسِيَة.

بَيْدَ أنِّي، اللَّيلةَ، في "لِقاء الأربَعاء" الثَّلاثين، والأخيرِ للمَوسم الخامِس، سأخرجُ على المَألوف. ذلك أنَّ المناسبةَ، مناسبةَ لقائِنا، تُعيدُني إلى ذكرياتٍ في أكثرَ من اتِّجاه:

تُعيدُني المناسبةُ، أوَّلاً، إلى غَرَبِتّ؛ قلتُ غَرَبِتّ، فطارَتْ بيَ السِّنينُ إلى يَفاعَتي، وإلى تَحصيلي العِلميِّ في المدرسة المركزيَّة (الفْرير سابقًا)، وإلى زَمالَتي مع غَرَبِتّ أوزونْيان، الصَّديقِ الَّذي تَقاسَمتُ معه الكثيرَ من شؤونِ التَّفَتُّحِ على الحياة، وشُجونِها، من مِثلِ الحَماسةِ للقضيَّة الفِلِسطينيَّة قبلَ أن تضيعَ، وقد ضَلَّتْ طريقَها عندَ تِلال لبنانَ وشواطئه؛ وطارَتْ بي حَماستي، في حينه، فكتبْتُ قِصَّةً "فِدائيَّةً" بعنوان "عمليَّة الدُّبِّ الصَّغير"، ساعدَني في بعض أفكارها غَرَبِتُّ، ذو الرُّوحِ الثَّائرةِ الوَثَّابَةِ الرَّاكِدَةِ المُؤَسَّسَةِ على ظُلمٍ هو الأظلمُ في تاريخ البشريَّة الحديث.

وغَرَبِتُّ هذا، قلَّما حدَّثَني عن قضيَّة شعبه، لكنَّ طريقةَ عَيشِه هي الَّتي حَكَتْ لي هذا الشَّعبَ: كان أهلُه فقراءَ مادَّةً، أغنياءَ أخلاقًا، نَشِطينَ، عامِلِينَ، لا يَستجدونَ أحدًا شيئًا. وما كانَ، هو، لِيَخجَلَ من صَنعَة عَمِّه الأعزَب، أقـــاك، ماسِحِ الأحذية في زاويةٍ من زوايا ساحة جونيه، عند

فرع "بنك بيروتَ" حاليًّا، أو مِن أنَّ هذا العَمَّ يُقيمُ مع الأُسرَة، ويُساعدُ، من عمله البسيط هذا، في تأمين أقساط غَرَبِتَّ المدرسيَّة.

غَرَبِتّ، أتذكَّرُكَ، السَّاعةَ، بالخَيرِ، وكما لَطالما تذكَّرتُكَ. أخبارُك انقطعَتْ عنِّي منذُ مَطلَعِ سَبعيناتِ القرن الماضي، وقد تركْتَ المدرسةَ إلى المَهجَرِ – مَهجَرٍ جديد –، وقيلَ إلى أُستراليا، فلَكَ منِّي، أعظمَ التَّحايا، وأطيبَها، أنَّى كُنتَ، وأيًّا غَدَوْت.

***

وتُعيدُني المناسبةُ، ثانيًا، إلى هذا المَبنى، إلى حيث نحن بالذَّات، أيُّها الأحبَّة. تُعيدُني إلى بداية اتِّصالي بجمعيَّةِ كهنةِ بزُمَّارَ البطريركيَّة، وبآبائها، بَدءًا من عام ١٩٨٤، وحتَّى تاريخه.

قلتُ تُعيدُني، وإنَّما، أيضًا، تُبقيني في لقاءٍ دائمٍ مع جمعيَّةٍ وضَعتُ و/أو قدَّمتُ و/أو نَشرتُ و/أو أسهمتُ في طباعة عددٍ كبيرٍ من كُتُب أحبارِها وأبنائها، من البطريركِ الرَّاحِلِ السَّعيدِ الذِّكر يوحنَّا بطرس الثَّامنَ عشرَ كَسْـــپـــاريان إلى البطريرك الحاليِّ نِرسيس بيدروس التَّاسعَ عشرَ، مرورًا بالمِطران بطرس مراياتي، والمِطران جان تَيروز، والأب أنترانيك غرانيان، والأستاذ آرام سِبِتجيان. ولا أنسى سيرةَ حياة كالوست سركيس غولبنكيان الَّتي عَرَّبتُ، وكتُبًا عديدةً للمُنسِنيور جورج يغيايان صدرَتْ عن دار نَعمان للثَّقافة، وسبعةَ كُتُبٍ، بالعربيَّة والفرنسيَّة والأرمنيَّة، مَهَّدَتْ لتَطويب المِطران إغناطيوس مالويان عامَ ٢٠٠١، في الذِّكرى السَّبعِمِئَةِ بعدَ الألف، نَعَم، السَّبعِمِئَةِ بعدَ الألف، لاعتِمادِ أوَّلِ أُمَّةٍ في التَّاريخ، أرمينيا، وقد تَنَصَّرَتْ أرضًا وشعبًا وحاكِمًا، ولَمَّا تَزَلْ.

وبلغَتْ بيَ الحَماسةُ أنِّي عَرَّبتُ شخصيًّا، وطبَعتُ، النِّظامَ الدَّاخليَّ لِجمعيَّة كهنة بزُمَّارَ البطريركيَّة من دون أنْ أُذَيِّلَه بتوقيعي.

فإلى هذه الجمعيَّة، ومَن يُمَثِّلُها اللَّيلةَ، وفي كلِّ حين، أرفعُ أصدقَ مَشاعر الودِّ والصَّداقة.

***

وتُعيدُني المناسبةُ، أخيرًا، إلى الأب كِـقـُرك، قلتُ الأبَ كِـقـُرك، والمَعنِيُّ المُنسِنيور جورج يغيايان، المُحتَفى به اللَّيلةَ، ذاك الَّذي، أينما حَلَّ، وفي أيِّ زمنٍ وظَرف، حَلَّتِ المآثرُ، بُنيانًا ومَشروعاتٍ وأنشِطَةً وكتابات، إذ هو القادِرُ، دائمًا وأبدًا، على قَلبِ الأَثَرِ عَينًا.

هذا الأبُ والأخُ والصَّديقُ أعجزُ عن وَصف مَزاياه، وحتَّى عن تَعدادها، وأخجَل. لِذا أكتَفي بالقول إنَّ جورج يغيايان أعطاني – مع غَرَبتَّ وجمعيَّةِ كهنةِ بزُمَّارَ البطريركيَّةِ – ما أحمِلُه من حُبٍّ للشَّعب الأرمنيِّ، وتَقدير، ممَّا حَداني على الانغِماس في مَشروعاتِهم التَّأليفيَّة، ولاسيَّما منها ما يتعلَّقُ بتَطويب المِطران إغناطيوس مالويان. ودَعَتْني الحَماسةُ، مرَّةً جديدةً، فوضَعتُ بحثًا بعنوان "الأرمن، كنيسةٌ شاهِدَةٌ وشَهيدة"، نشرتُه في أكثرَ من كتابٍ واحد، ويُمكنُكم الاطِّلاعُ عليه مع مجموعةٍ من الأبحاث الأخرى في كتاب "المسيحيُّون، خَميرةُ المَشرِق وخَمرتُه"، المُوَزَّعِ مجَّانًا في نهاية أمسِيَتنا، مع عددٍ كبيرٍ من الكُتُب، منها، في المناسبة، كِتابا "إغناطيوس مالويان، الإنسانُ والشَّهيدُ والطُّوباويّ" الصَّادرُ عن دير بزُمَّار، و"ماردين، دراسةٌ تحليليَّةٌ لإبادة عام ١٩١٥" الصَّادرُ عن دار نعمان للثَّقافة بلَفتَةٍ كريمةٍ من السَّيِّد جوزِف بوغوص.

***

ويا أيُّها الأحبَّة،
لقد شِئْتُ، اللَّيلةَ، وأمامَكم – على قَدْرِ إمكاناتِ مؤسَّستي، "مؤسَّسةِ الثَّقافة بالمَجَّان" – و"على قَدْر أهلِ العزمِ تأتي العزائمُ / وتأتي على قَدْر الكِرامِ المَكارِمُ"؛ قُلتُ، شِئتُ، اللَّيلةَ، أنْ أرفعَ التَّحيَّةَ لأرمينيا، ولِشَعبها، مُفتَتِحًا، منذ الآنَ، وقبلَ الموعد بعامَين، مئويَّةَ الإبادة الَّتي ارتُكِبَتْ في حقِّ الأرمن، هذا الشَّعبِ الطَّيِّب، المؤمنِ، الفاعِل، وذلك بالبَدءِ بنَشر أبحاثٍ جديدة، وإعادةِ نشر كتبٍ سابقة، وإقامةِ النَّدَوات، على ما يُقَدِّرُ اللهُ، ويَسمَح، بالتَّعاون مع مَن يَرغَبُ منكم ومن مَعارفكم من المُهتَمِّين بالموضوع الأرمنيّ.

ألا دامَتِ الأنسَنَةُ نِبراسَ حياةٍ لكلِّ إنسانٍ في هذا الكَون،
عاشَتِ القضيَّةُ الأرمنيَّة،
عاشَ لُبنانُ الحقِّ والكلمة،
ودُمتُم، أيُّها الأحبَّة.

ناجي نعمان

في مناسبة تكريم المُنسنيور جورج يغيايان
١٧ نيسان ٢٠١٣